مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 12/ العـدد: 02 (2024)، ص 76-107

المكوّن السردي والخطابي في رو اية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار

The narrative and rhetorical component in the novel "The Ascetic Saint Tahar Returns to His Noble Place" by Al-Tahir Wattar.

بغلول بوزيان[1]

كلية اللغة العربية واللغات الشرقية، جامعة الجز ائر2

@ bouziane.01.loul@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/03/27 تاريخ القبول: 2024/05/17 تاريخ النشر: 2024/06/07

ملخص: اشتمل اشتغالنا على مدرسة باريس السيميائية في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" على المكونين السردي والخطابي، وكان ألجريداس ج جريماس A.J.Greimas رائدا من رواد السيميائيات السردية، خرج بمفهوم العامل، بدعوته التعامل مع الشخصية كوحدة نصية لا امتداد لها خارج بنية الحكي بغض النظر عمّا تؤديه، لذلكم تتبعنا العامل ـ وكغيره من الملفوظات السردية ـ بالوصف في البنية السردية السطحية، عبر المكون السردي والمكون الخطابي.

والهدف ترشيح الدلالة عبر وصف بنية نص "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" سيميائيا، النص الذي وُصف إعلاميا بالغموض، فضلا عن التمرس على التعامل مع دقة وصرامة المنهج ومصطلحاته (الأدوار، العلاقات، الملفوظات، الحالات والتحولات، المسارات الصورية، إيقاع الخلل في البرنامج السردي، التوازن وهلم جر)، من ثمة تجلية الغموض والإبهام عن تراثنا السردي المعاصر لا محال.

الكلمات المفتاحية: المكوّن السردي؛ المكون الخطابي؛ النموذج العاملي؛ مدرسة باريس السيميائية؛ السيميائيات السردية.

Abstract: Our work with the Paris School of Semiotics in the novel "The Ascetic Saint Tahar Returns to His Noble Place" included both the narrative and rhetorical components. A.J. Greimas was a pioneer of narrative semiotics. He came up with the concept of the factor, calling for dealing with the character as a textual unit that has no extension outside the

structure of the narrative. Regardless of what it performs, that is why we trace the factor - like other narrative expressions - by description in the superficial narrative structure, through the narrative component and the discursive component.

The goal is to filter the significance by describing the structure of the text "The Ascetic Saint Tahar Returns to His Noble Place" semiotically, the text that was described in the media as ambiguous, as well as to practice dealing with the accuracy and rigor of the approach and its terminology (roles, relationships, pronunciations, states and transitions, formal paths, and the rhythm of errors in the program. Narrative, balance, and so on), thus the ambiguity and ambiguity of our contemporary narrative heritage is inevitably revealed.

Keywords: narrative component; rhetorical component; acting model; Paris semiotic school; Narrative semiotics.

المؤلف المراسل: بغلول بوزيان

1.المقدمة :

من المفترض أن الوصف السيميائي للغة الخطاب المجرّدة هو خطاب في اللغة، والذي بدونهما (اللغة والخطاب) لا وجود له، ولأي معنى أو دلالة، وباسم هذه المسلمة تهدف السيميائيات السردية إلى استكشاف نظام العلاقات الخارجية (في النسق الاجتماعي) من داخل بنية نسق الداخل اللغوي، باعتبار أن الأنظمة الاجتماعية محمّلة في اللغة بعلامات وأنظمة رمزية ثقافية ـ ولا أسبقية لأحدهما للآخر ـ وهو ما يمكّن المحلل السيميائي من الوقوف على أحد هذه العلامات في النص السردي كعلامة العامل والذي سيفرز ـ بدون أدنى شك ـ دلالات، شأنه شأن بنية النظام السيميوطيقي للكون والثقافة، وغاية هذه المقاربة كونها مقاربة دلالية هو ترشيح الدلالة عبر وصف بنية نص الطاهر وطار هذا سيميائيا، مركزين على وصف بنية علاقات الشخوص الرئيسية والثانوية كعوامل وممثلين وأدوار، ثم عبر مسارات صورية، للخلوص إلى هذا التعالق بين المنهج والخطاب كون أن اللغة هي مادة اشتغالهما.

القول بإبهام وغموض نص الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، بل ولا وحدة موضوعه، لعشوائية الأحداث وترابط الخيال بالواقع، هي بمثابة إشكالية فرعية للإشكالية الرئيسية، والتحقق العملي التطبيقي يقع على عاتق منهجنا الدلالي؛ في مدى إفراز الدلالة جراء وصف عدم تماثل وتقابل المكونات والعناصر اللغوية للرواية، إضافة إلى ممارسة التأويل باعتباره نشاط معرفي انحازت إليه السيميائيات عند الضرورة، واعتبرته منطلقا مركزيا لتحديد معنى الواقع الذي تسائله، من ثمة كان تأويلنا لدلالات عدة طفحت بها "الحالة"، وإدراج فن الرسائل في الرواية، ناهيك عن تعمد ترك النهاية مفتوحة، ثم التأكد من صعوبة تطبيق النموذج العاملي (استرجاع موضوع القيمة، جوهر الدّلالة) على الرواية، لكونه في الأصل وُضع لتحليل الحكاية الشعبية.

وتأتي أهمية تحليلنا للبنية السيميائية السردية، عبر المكوّن الخطابي وملفوظات البرنامج السردي بعامة هو التمرس على التعامل مع دقة وصرامة المنهج ومصطلحاته (الأدوار، العلاقات، الحالات والتحولات، المسارات الصورية، الملفوظات، إيقاع الخلل في البرنامج السردي، التوازن..) ضمن فضاء العلامة اللغوي؛ من المكون السردي السطحي إلى الخطابي، وضمن تركيبتين: تركيبة سردية (ضبط التوالي والترابط الخاص بالحالات والتحولات ومنطق الجهات، والبنية العاملية) ودلالة سردية (تناول المكون الخطابي الذي يتحكم في تسلسل الصور وآثار المعنى، ويسعى هذا المستوى إلى إعطاء شكل محدد لانتشار الوضعيات، والأحداث، والحالات، والتحولات في الخطاب)

أما الروائي (1936 ـ 2010) فحمل لقب أب الرواية الجزائرية بمواصفاتها العامة، التحق العام 1955 بثورة التحرير، من أهم أعماله من مجموع عشرة روايات: "اللاز" و"الشمعة والدهاليز" و"الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، وفيها تعتري الولي الطاهر حالة صوفية فيرتدي عقله الباطن، ويصبح محل قدرات عجائبية (أحداث سيريالية بالمفهوم الأدبي) حيث يعود فيها إلى الماضي بحثاً عن قصره الذي أضاعه المسلمون بعد خلافات حلّت بهم، والتي قادتهم إلى العنف والفوضى، حيث كثر الفسق والفجور فعزم أن يهرب بالمؤمنين إلى المقام الزكي، لكنهم يقعون في فتنة تمرد مريدة من المريدات وتقديس المريدين للشاعر مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد، فيستعين بالحالة أو السهللة (التوهان بين اليقظة والمنام) ليواجه الولي الطاهر تلك التحولات العميقة في المجتمع وفي كل تيهان يقع بين فريقين متصارعين.

2. البناء السيميائي (العلاقات والأدوار):

يعد تناول المكون الخطابي (المكون الخطابي الذي يتحكم في تسلسل الصور وآثار المعاني[1]) سعيا إلى إعطاء شكل لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحولات في الخطاب. و"التحول" غير "الحالة"، فهذه الأخيرة مرتبطة بفعل الكينونة، أي عدم الحركة، عكس التحولات التي تتحقق بوجود فعل "الفعل" وعلاقاتها المتمثلة في الرغبة والتواصل والصراع، و"نكون بصدد المكون الخطابي عندما نتحدث عن الممثلين/ذوات الفواعل وبصدد المكون السردي عندما نتحدث عن بنية العلاقات العاملية التركيبية"[2] مع ملاحظة وجود عوامل لا تدفع بالأحداث ولا تشارك في التحولات وانقلاباتها كالشيوخ المعلمين، وكثير من الشخصيات الواقعية (لما تحيل السهللة إلى فترات تاريخية محددة، لأن الولي الطاهر لا يعيش أضغاث أحلام بل "حالة" بمعنى أنه في خلال حلمه يشعر أنه يحلم: " لعلني كنت في "حالة ما" قال وهوى بالفأس مرة أخرى"[3])

ويعد تقطيع النص le découpage de texte "خطوة أساسية في إطار التحليل السيميائي، ويمثل إجراءً عمليا من إجراءات التحليل الأولي يحدد فيه المحلل تقطيع النص أو الخطاب إلى مجموعة مقاطع وفق معايير للتقطيع"[4] بيد أن عزل المقطع الذي هو "عبارة عن وحدة دلالية وحكائية مستقلة بنفسها دلاليا وتركيبيا وتداوليا، قابلة لأن تدمج في حكاية أكبر تضمنا وتوليديا "[5] ويتطلب تقطيع النص اعتبار الخطاطة السردية للنص، أي المقاطع النصية الكبرى: المقطع الاستهلالي ـ المقطع الوسطي ـ المقطع الختامي، وعلى هذا الأساس قمنا بتقطيع رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي إلى مقاطع نصية كبرى لتسهيل عملية الاشتغال المنهجي.

---

[1]. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال خضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 12.

[2]. المرجع نفسه، ص70.

[3]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2، 2004، ص90.

[4]. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، المدارس للنشر والتوزيع، الرباط، 2002، ص13.

[5]. المرجع نفسه، ص13.

1.2 المستوى السطحي:

1.1.2 المكون السردي في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي:

المكوّن السردي عبارة عن إجراءين منهجيين متتابعين، إحداهما نسقي أوساكن ألا وهو البنية العاملية المعنية بمحاور الرغبة والصراع والاتصال، والثاني حركي إجرائي (البرنامج السردي) القاضي بوصل أو فصل الملفوظ سردي من فعل الحالة إلى فعل الفعل، أي أولا تحديد حالات الفصل أو الوصل بموضوع القيمة ماديا كان أو معنويا، ثم مسارات التحول التي تطرأ على الفاعل الإجرائي بفضل العوامل: المساعد والمرسل والمعارض والمرسل إليه، فعل الفعل المؤدي لاكتمال البرنامج السردي، بدءً من التحفيز إلى الكفاءة مرورا بالإنجاز وختاما التقويم أو الجزاء. كأنما هذا الإجراء أولا وأخيرا عبارة عن تشريح للبنية السردية؛ استقرار ثم حركة فعودة إلى حالة الاستقرار لكن "لا تقوم الكلمات والجمل بأداء الدلالة بصورة مباشرة، بل تقوم باستخدام الأشياء والعوامل في تركيب صورة دالة دلالة نوعية ومفتوحة تحيل عليها"[1]

1.1.1.2 حركية النموذج العاملي في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي:

التحفيز أو التحريك la manipulation: عودة الولي الطاهر من منفاه المجهول تعكس بداية حالة القلق متأهبة للدخول في حالة من الصراع للتغلب على قلقها، الناجم عن عدم تعرفها على مقامها الزكي، ومدة غيابها، وحالة ذهول الشمس وسط السماء واختفاء الظل والقِبلة.

والمحفز للولي الطاهر هو عامل مرسل للفاعل الإجرائي، للوصول إلى مقامه ومزاولة عمله هو شكه كعامل روحي بعد أن مكنه ربه من سواء السبيل (الله يريده كما يريد و"بالحالة")؛ في أن كل ما جرى ويجري هو امتحان رباني: "ينبغي أن لا أستسلم لهذه الحال، أكانت امتحانا ربانيا أم خدعة شيطانية لعرقلة العودة إلى المقام الزكي"[2] وشكّه في أوضاع الناس والبلاد متكئة على النواحي المعرفية أيضا، واتصال ذات الفعل بموضوع التدريس بالمقام للحث على الآداب والأخلاق الإسلامية

---

[1]. أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق، دار الغرب، وهران، دط، 2005، ص5.

[2]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص 13.

المتأصلة في المجتمع، من ثمة التخلص من الفوضى والعنف المدمر، الذي وقعت فيه البلاد وأحال إلى الاستخفاف بقيم الأولين وسريان الفسق والفجور مسرى الجرب، وهو وباء مُطْبق، لا مناص منه إلا كفاءة الولي الطاهر للاتصال بهكذا موضوع ومن ثمة فإن المحفز الأساسي هو محرك نفسي روحي؛ وهي الذات العالمة بحقائق الأمور ومجرياتها عن طريق موسوعيتها و"الحالة" الصوفية التي تعتريها، وهو ما نلمسه من الملفوظات السردية التالية: "عندما دبّ اليأس بعد محاولات متواصلة، وصلت حد المواجهات المسلحة، والحروب الطاحنة، مازالت متواصلة، ارتأيت أن الهروب بدين الله عنصر مهم في المواجهة، نقيم في هذا الفيف، نتضرع للمولى، عساه يفرج الكرب فيضع حد لاكتساح الوباء للأمم الأخرى.. نلقنهم دينهم.. منشئين أمة صالحة"[1] وما يؤكد اقتناع الذات الإجرائية الحصول على الموضوع هو العامل الخارجي التدهور الأمني والأخلاقي والثقافي، وما ضياع القصر (المقام الزكي) ضمن قصور أخرى شيطانية وتوقف الظل وافتقاد القِبلة إلا محاولة لثني الولي عن الصلاة، وعدم المضي في مشروعه، وقد تفطن إلى أنها فوضى الوباء والحرب تؤدي إلى إحداث سراب وضياع عام للبلاد والعباد، "ما أمرنا الله به وما نهانا عنه لم يتغير، ولكن ليس لنا موقف منه، فلا نحن معه ولا نحن ضده. هذا هو عرض الوباء الفتاك الذي ألم بنا"[2]

ـ اللهم وهبتني لنصرة دينك ووهبتني كرامتك، فلا تنسيني ما أقرأتنه ولا تجعل الوباء يصل إلى قلبي ومخي"[3]

وهو ما نبينه من خلال تطبيق المربع التصديقي أين تظهر بلارة ممثل للأخلاق الشيطانية المنجرة عن الحرب، فهي ترفض سفك الدماء وترفض في نفسك الوقت كبح نزواتها وتتجلى دلالة سلوكها من علاقة شبه تضاد عكس سلوك الولي الطاهر-علاقة استلزام- بالتالي نستنبط منه دلالة منطقية خطاب الولي الطاهر مقابل التباس ولا منطقية سلوك بلارة.

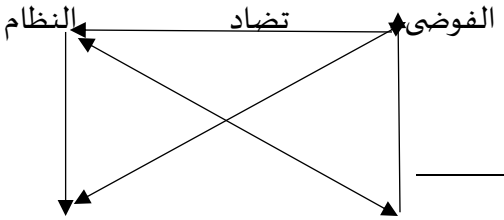

[1]. المصدر نفسه، ص16.

[2]. المصدر نفسه، ص22.

[3]. المصدر نفسه، ص46.

تناقض استلزام

لا نظام/لا أخلاق ~~شبه تضاد~~ لا فوضى/ أخلاق

الكفاءة la compétence: هي المرحلة الثانية في البرنامج السردي التي تستوجب على الفاعل الإجرائي كي يمتلك الموضوع والمرور إلى الإنجاز، تحصيل مجموعة من الشروط تسمى عند جريماس بصيغ الجهة modes de modalités وهي أربع صيغ قدرة الفعل وإرادة الفعل، وجوب الفعل ومعرفة الفعل.

ـ معرفة الفعل ووجوب الفعل:

كفاءة الفاعل الإجرائي الولي الطاهر ضمن البرنامج السردي الذي يعرف بأنه "تتابع الحالات والتحولات على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وما بينهما"[1] لا غبار عليها، وهي التي مكنته من كشف العلاقات المشكلة لأي نشاط إنساني داخل المقام وخارج الفيف حيث فر، متمحورة حول موضوع الرغبة بالتخلص من الوباء وتربية النشأ تربية قوامها المبادئ الصوفية المكونة لهوية الثقافية والسياسية للبلد، فالذي تتوخاها الذات هو الهروب بدين الله إلى الفيف، جاء كرد لإسقاطات ذات المرسل وذات المساعد وذات العامل المعارض" وبما أن الفاعل نوعان: فاعل الحالة والفاعل الإجرائي، فإن الموضوع بدوره نوعان: موضوع القيمة، وموضوع الجهة. ويمكن كذلك الحديث عن البرنامج السردي المضاد الذي يقوم به البطل أو الفاعل المعاكس أو الذات المضادة لتقويض البرنامج السردي الذي يقوم به الفاعل الإجرائي من أجل تحصيل الموضوع المرغوب فيه"[2]

والملفوظ السردي الذي يوحي بذلك هو قول السارد "راح يستدير محاولًا إعادة التأكد من القصور الثلاثة التي انتصبت صوراً منسوخة عن مقامه رافضًا استعمال نعت المقام لها، فمن أدراه بأمرها فقد تكون من عمل الشيطان"[3]

---

[1]. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص148.

[2]. جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، طبعة إلكترونية، ص91.

[3]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص67.

هذه العلاقة أدت بذات الفعل إلى فعل التأكد عن طريق الاستدارة نحو امتلاك الكفاءة لتمر إلى الفعل. فالعامل قد ملك وجوب الفعل أما معرفة الفعل فنستشفه من الملفوظ السردي التالي: "في الأمر سر قد يكون وباء من نوع آخر سلّطه علينا أهل الكفر وقد يكون سحرًا أتاه ساحر. أو ساحراً في حالة تخف بيننا ولربما مساً من جن الفيف "[1] وفي قوله: "مهما كانت بطولة خالد فليس فيها فتوة (..) ينبغي التسليم في صدق مالك تصديقا لعمر ابن الخطاب"[2]

ـ إرادة الفعل وقدرة الفعل:

يبدو الفاعل الذات الولي الطاهر أنه متوفر على الإرادة، لعمل وصلة بالموضوع، برغم العوارض التي تقف أمامه من منطلق أنه ليس من الضروري أن تمتلكها ذات واحدة، فقد يتم الحصول على هذه الصيغ في مراحل، كما تتوزع على مجموعة من الذوات المنضوية تحت كون قيمي واحد[3] والولي الطاهر فعلا يبدو مصمم على المضي قدما نحو هدفه بإرادة فولاذية بخاصة في تعامله الذكي مع المريدة الناشزة بلارة: " كانت شبه عارية (..) قرر أن يبدأ المعركة، هذا المقام الزكي لن يتطهر إلاَّ إذا تخلص من هذه الجنية، نعم جنية، وإلاَّ كيف تزعم الولاية"[4] كما أن تلك الإرادة عند الصوفيين حسب الجابري غير خاضع لإرادة العقل، بل هي خاضعة "للإرادة التي محلها القلب وهم يربطونها "بالحب" حب الله، تطور درجاتها يؤدي إلى الاتحاد"[5]

قدرة الفعل تتمثل في العناية الإلهية له: كرامة وموسوعية علمية وثقافية وسياسية، فهو "قد قرأ الفلسفة وسكنه من سكن السهروردي، فعاد في كتبه الأولى يبحث عن جذوره الوثنية في تجاويف الوديان والأهرامات، ثم سوى بين الإخوان المسلمين والملاحدة والشيوعيين (..) وجعل الأشياء فتوة العهود المختلفة. فهمه النصارى واليهود فكافأوه ليكون رمزا وقدوة"[6] وقوله في الملفوظ

---

[1] . المصدر نفسه، ص16.

[2] . المصدر نفسه، ص40.

[3] . رشيد بن مالك، السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص59.

[4] . الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص 73.

[5]. محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة الربية، بيروت، ط1، 2001، ص109.

[6] . الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص49.

التالي، يعني أن قدرة الفعل تأتيه من كونه عادل وعام ليس خاصا بأحد ربما لوكان خاصا لأخفق، وأينما يولي يجد وجهه عز وجل: "رأيتني ممزقا بين أنا وبين غيري نصفي ممتلئ بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف وابن عربي والمتنبي والجاحظ والشنفرى وأمرئ القيس زهير بن أبي سلمة ومحمد عبد الوهاب ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني والنصف الآخر ممتلأ بماركس وأنجليز ولنين وسارتر وغوركي وهِمينغواي وهيجل ودانتي ونصف روحي لي ونصفها الأخر يسكنها غيري حاولت استعادة أنا نصف أنا الضائع فما أفلحت حاولت التخلص من الآخر فأخفقت"[1]

الإنجاز أو الأداء la performance: بعد اكتساب معدلات الكفاءة الأربع يأتي الدور في البرنامج السردي على الإنجاز la performance، بما هو مرحلة حاسمة للذات أو فاعل الفعل للاتصال أو الانفصال عن الموضوع؛ "في هذا الطور يدخل الفاعل المنفذ في علاقة تحويل يستند بدوره إلى علاقة بين فاعل حالة وموضوع معتبر كموضوع قيمة"[2]

وعِلم فاعل الفعل بأن الشيطان لا جنس له لكنه يفضل أن يأتي في صورة أنثى إذا كان بصدد ذكر وبصورة رجل إذا كان بصدد أنثى، وعلمه ببلوة صوت بلارة للمقام أيّما بلوة جعله عن طريق "الحالة" يربط بين حالة الحرب الضارية بين الإسلاميين الذين يرمون بالرصاص على طرفي الواد؛ بين الجيش الإسلامي والجماعة الإسلامية والجيش النظامي وحالات من الانحلال الخلقي، شبيه بالمس الشيطاني يصيب العباد حيث تأجيل حل المشكل جزأ إنجازي من البرنامج السردي في حد ذاته، وهو اتصال الفاعل بالموضوع (دخول العاصمة وحل المشكل) بل أنه كلما عاوده الصوت النسائي الجني يتيقن من أن استمرار الأزمة مصدر انتشار الجنية وتشويش عقل الولي والمريدين والمقام كله، في خضم هذا الوضع يبدأ الفاعل الإجرائي الإنجاز من المواجهة "لأن الإنجاز يتكون من ملفوظات سردية تنتظم وفق مراحل ثلاث يحددها غريماس كالآتي: مرحلة المواجهة

[1] . المصدر نفسه، ص49.

[2] . ميشيل اريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمّان، ط1، 2002، ص 115.

confrontation، مرحلة الهيمنة domination فمرحلة المنح don حيث تتطابق كل مرحلة مع علاقات المربع السيميائي الثلاثة"[1]

وتبدأ المواجهة من التسلح كفاية بالكرامة في قوله: "إذا مس الوباء الروح فلا علاج غير الاستحمام بالذكر" ثم الحضرة لتنشرح ذات الفعل وحتى يستمر في الاتصال بموضوع عودة السلم والأمن وطرد الجنية من المقام إلى غير رجعة "انطلقت نقرات البندير ثم شنشنات الطار، ثم تغريدة الرباب، بدأ كل شيء خفيف، يصاعد، (..) رددنا جميع متأوهين في كنف صوت المقدم وأصوات الآلات التي توحدت في نغم واحد عذب ورحيم"[2]

وسيظل التهيّؤ يعطي مسارا لولبيا للحالة، كالدوامة، إلى أن يشارك الولي في حروب ويخوض في مغامرات يتفقد فيها أحوال المسلمين، " كل بلاد العرب والمسلمين نحررها من عبدة الأوثان وتقديس القبور، وتعاطي المحرمات، طبقا لآراء الإمام أحمد ابن حنبل.. نعيد الجهاد في سبيل الله.. يدخل الناس في دين ربهم أفواجا أو يدفعون الجزية"[3] يعرج على مقتل مالك بن نويرة سيد بنم يربوع وحنظلة بسبب شك خليفة المسلمين أبو بكر الصديق في ردته، ثم يهتدي عن طريق كرامة خلايا مخه من اكتشاف حقيقة الجنية التي تراود المريدين وينتقل الفاعل إلى مرحلة الهيمنة يقوم بنفي حالة الجنية المختفية بين المريدات المتسمّيات كلهن "أم متمم" ببراعة " ـ وما يحدث كل ليلة عند منتصف الليل يا آمة الله؟

خفضت رأسها ظلت صامتة فبادرها: ـ لا حياء في الدين. لقد كلفني الله برعايتكن (..)

إذا لم يكن في الأمر شيطان فتصورهن أني آتيهن كل منتصف ليل أمر طبيعي.. ستتضح المسالة في التحقيق الذي أجريه وسيتجلى إذا كان الوسواس الخناس أو عفريت ماكر المتسبب.."[4] إلى أن يتيقن الولي من أمر إحداهن وهي التي تمضغ العلكة وترمي ملابسها في وقاحة بينة كأنها في غرفة منزلها فيخنقها حتى الممات: "كانت شبه عارية، طرحت جلبابها ثم قميصاً حريرياً ورد‌ياً.. وقد

---

1. رشيد بن مالك، السيميائية السردية، ص68.
2. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص28.
3. المصدر نفسه، ص43.
4. المصدر نفسه، ص 49 ـ 50 ـ 51.

رمت بحذائها ذي الكعب العالي بعيدًا عنها غير مبالية بموقعه (..) هذا المقام الزكي لن يتطهر إلا إذا تخلص من هذه الجنية، نعم جنية، وإلاَّ كيف تزعم الولاية.. يا خافي الألطاف نجنا ممّا نخاف.. رأت الشر في عينيه، تمكن أخيرا منها هتفت مرعبة: ـ اقتلني خنقا يا مولاي وإياك سفك دمي.

ـ وهل لك دم يا ابنة النار؟.. امتدت يداه معا فسلتا قرطين من أذنيها، وسال الدم على عنقها الرفيع الطويل، ظلت لحظات تتأوه، ثم راحت كلما أشهقت تختفي في ضباب رمادي إلى أن غابت نهائيا"[1]

ثم تأتي مرحلة المنح حين يفرغ الولي الطاهر من حالته التالية، وهي مجزرة رايس حميدو التي قُطعت فيها الأعناق وبُقرت فيها البطون وشويت فيها الرؤوس، وعندما يفيق يجد نفسه على التلة الرملية قبالة القصر الثالث، وهو في حالة تذكر كلام الجنية في الحلول والاتحاد لإعطاء نسل أولياء الله الطاهرين، وكان الظل قد بدأ يمتد عند الزاوية الشرقية للمقام الزكي، وكأنه قد بلغ من الصفاء الروحي وتطهير نفسي إثر حالته الأخيرة الراحلة في الزمان والمكان وغدا بإمكانه تقدير أن نسل كل الناس الذي يحل فيع الله في خليفة الله هو الكفيل برفع الغمة عن العباد والبلاد، أي نشر تعاليم الزاوية. وأخيرا البت في فتنة مقتل مالك ابن نويرة على أنها فتنة كبرى؛ بتسرع أبي بكر وخطأ خالد بن الوليد، مازال الخلف يطلبها عند كل شك في إسلام فلان أو علان، ثم مناقشة الحيلح حول عودة المسلحين إلى منازلهم.

الجزاء la sanction: في هذه المرحلة وهي الاختبار النهائي للذات الفاعلة، يُلجأ للعقد المبرم بين المرسل والمرسل إليه (الذات) الموجه المجموع السردي، يقوم المرسل الذي سبق له وأن حفّز الذات، من التدخل لمعرفة إصابته للهدف أي للعامل الموضوع من عدمه؛ فاذا أصابه فهو حسْبُه، سيلقى المكافأة وهي نيل القيمة المادية (الزواج، الحصول على المال..) أو المعنوية؛ تحرير العباد من فوضى الحرب والأخلاق الغريبة عن قيمنا، أو إذا لم يصبه فيعني فشله في نيلها ولا توجد منطقة وسطى، يقول سعيد بن كراد: " إذا كان التحريك هو نقطة البدء الأولى للفعل السردي، فإن الجزاء sanction هو الصورة النهائية التي يستقر عليها الفعل السردي"[2]

---

[1] . المصدر نفسه، ص 76.74.

[2]. رشيد بن مالك، السيميائية السردية، ص 72.

والولي الطاهر قد نجح وكوفئ من قبل المرسل من خلال رضا النفس وطمأنينتها التي منحته لقب شيخ المقام صاحب البركة، بعد أن شارك في حروب ورحلات عدة نال منها عصارة تجاربه وحكمه في الحياة؛ التي مكّنته من شنق الجنية التي تستقي جنيتها من فوضى الدمار والخراب الذي فشا. قبل أن تصبه رصاصة طائشة مميتة على حين غرة وكان توقع ذلك لما قال: " يا أيها النفس ارجعي إلى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وجنتي" كان خُلص أو قارب إلى إعادة الأمل في عودة المياه إلى مجاريها، من خلال ضبطه لأخلاق وآداب المقام الزكي الذي تركه قبل أن يغيب، حيث عم الفساد والجن الفيف وتربّع اللا نظام (قصور عدة مبهمة غير واضحة). فلم يكد ينشر العلم الصحيح الثابت المتيقن في أمره لئلا يصاب الناس والقوم بجهالة، حتى نال احترام تقدير بقية المريدين ورئيس الشيوخ كمرسل ثاني له بعد رجوع حال المقام إلى سابق عهده: " ـ أحضر لي الشيوخ أو رئيسهم أو من تصادف.

سلّم رئيس الشيوخ المعلمين، مقبلا عمامة الولي الطاهر.. من تراني اليوم..

ـ أرى القطب. نور الأنوار، سيدنا ومولانا الولي الطاهر"[1]

ولعل جمجمة مالك بن نويرة التي وجدها في الجدار مع رسالة عيسى الحيلح بمثابة إشارة إلى دنو مكافأة الذات الفاعلة المتبنية للتحويل من قبل المرسل، كما نستشفه في نهاية الرواية بنزول عيسى الحيلح وتوبته بتأثير من الذات الفاعلة: " سيدي الكريم. يشهد الله أني كنت أحب التسامح وأمارسه من قبل"[2] ذلك يبين أن الذات الفاعلة مشهورة بممارسة التسامح، فتكون توبة عموم المجرمين ونهاية الإرهاب خير مكافأة للذات.

الملفوظ السردي الذي يشي بدنو الذات الولي من الجزاء هو فعل الحالة والحضرة على شرف المريدين الذين نجحوا في أخذ الطريقة عن شيخهم وأصبحوا مؤهلين لمقاومة الوباء: "ربما لا تعدو المسألة كلها أن تكون حالة صوفية، بلغناها بالصلاة والذكر والحضرات. حينها سأعطي العهد

[1]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص57.

[2] . المصدر نفسه، ص100.

والميثاق لكل من هم هاهنا، وأطلقهم في الأرض ولاة يقيمون الصلاة، ويأتون الزكاة، ويحاربون الوباء"[1]

2.1.1.2 نسقية النموذج العاملي في الرواية:

يقودنا تحليل البنية العاملية في الرواية والتي تنتظم وفق ثلاثة أزواج إلى أساس التحريك في أي عملية سردية وهي العلاقات الرغبة والتواصل والصراع.

1.2.1.1.2 البنية العاملية في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي:

الفئة العاملية الأولى: رغبة ـ موضوع (محور الرغبة)

بما أن العامل الموضوع في الرواية غير مادي (الحد من اكتساح الوباء بالتحصن) فيرتجى نجاح البرنامج السردي نجاحا نسبيا عكس الموضوع المادي (الحصول المادي على الموضوع من عدمه) الذي يمكن أن يؤدي إلى اتصال نسبي بالموضوع القيمي، وهو الحاصل مع كلا العاملين يونس مارينا والولي الطاهر، فهذا الأخير ولو أن هناك إشارة إلى إصابته برصاصة وموته في أثناء الاتصال بموضوع القيمة، ألا وهو محاربة الوباء ومواجهته أمنيا وسياسيا ودينيا أخلاقيا وعلامة ذلك تمييزه عن القصور المزيفة المشابهة له وإعادة النظام للمقام وتطهيره من الجنية التي تبلو الولي الطاهر والمريدين بداء النسيان، فينمحي كتاب الله من صدورهم ولمّا شك الولي الطاهر لكفاءته الثقافية والدينية كونها تحصيل حاصل للفوضى التي هرب منها والتي وصلتها عبر التلفاز؛ عمد البطل الذات أولا إلى المشاركة في تفجيرات القاهرة المعزية ثم في المعارك الجبلية بين المتشددين فيما بينهم وبين الطرف الثالث المندس؛ حتى ولو لم يدرك كنهه وفي أي جهة هو يقاتل ولصالح من ينتصر ويقاتل؟ هذه المشاركة عبر الحالة هي الموضوع الاستعمالي في علاقة الرغبة الذي يسبق الاتصال بالموضوع، " ظنها الولي خدعة، ولم يهضم عقله، خوض الحرب بهذه الطريقة، فقرر ألا يوقف القتال من جهته، تسلل وراء صخور ضخمة واحتمى بواحدة.. استغرق في الضرب دون مراعاة لخصم معين"[2] عبر ما يدعوه جريماس بملفوظات: الفرضية (vitalisuation) ـ التحيين (actualisation) ـ التحقق (realization) في البرنامج السردي.

---

[1]. المصدر نفسه، ص54.

[2] . المصدر نفسه، ص25.

الفرضية (التحصن من الوباء) ⟵ التحيين (المشاركة في الحروب العشوائية لجعل الإرهابيين طرفا أساسيا في الوباء، ممارسة الحضرة) ⟵ التحقق (انقشاع غيوم الفوضى) التحقق نسبي فالاتصال بموضوع محاربة الوباء نسبي:

فقد اختلط الحابل بالنابل جراء الفتوى التي هي على شاكلة فتوى قتل مالك ابن نويرة ثم حرق رأسه، الفتوى التي عمل بها الناس وخلقت "المجاهدين المزيفين" والفوضى لدى الخلف كما خلقته لدى السلف، لولا حكمة أبو بكر وهي التي تخلق البلابل الأخلاقية والثقافية في كل الربوع حتى داخل المقام، وإن لم تكن هي فتاوي الإسلاميين بالضبط لكن ما يشبهها ألا وهي إصابة القوم بجهالة القيل والقال وما يترتب عن المشهد الثقافي والعلمي المتدهور الذي يحبط النفوس ويصبها بوباء يصيب المرء في دينه يقطع صلاته ويهرع إلى خمارة، ولا يتخذ موقف من المنكر (خطر الانقسام في الرأي كخطر القتل بالذبح، تماما كالانقسام حول قضية مالك وأمم متمم) ويُشْغلهم بل يبعدهم عن الاستحمام بالذكر، وهو ما اهتدى إليه العامل الذات عبر عودته من " الحالة " إلا ويرجع إلى الصواب فيتطهر: " إذا ما مس الوباء الروح فلا علاج غير الاستحمام بالذكر"[1]

الفئة العاملية الثانية: مرسل ـ مرسل إليه (محور التواصل)

من منطلق أن الرغبة الذاتية لا تكون أبدا كافية بطريقة مطلقة حين محاولتها الاتصال أو الانفصال عن موضوع القيمة. لذا سيكون في حاجة إلى عامل خارجي في شكل فاعل مرسل سواء كان شخصا أم شيء، وهو الدافع الذي يكون عمله مؤطر بمرسل إليه كما يقول رشيد بن مالك: "ولا يتحدد المرسل ـ المرسل إليه كجزأين سرديين مؤطرين لمجموع التحولات داخل النص السردي إلا انطلاقا من الموضوع الذي يتموضع على محور الرغبة (ذات ـ موضوع)"[2]

تمرُّد المريدة رقم 201 وتشبهها بأم متمم وضع الفاعل الذات في حرج من منطلق أنه مكلف على الرعاية والآداب داخل المقام، " لقد كلفني الله برعايتكن فيجب أن أعلم بكل صغيرة وكبيرة في حياتكن بالمقام الزكي[3] هذا التمرد هو المرسل الأول للمرسل إليه الفاعل الولي الطاهر. أما المرسل

---

[1]. المصدر نفسه، ص34.

[2]. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص56.

[3]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص49.

الثاني هو التطرف من جانبيه: الإسلامي المتمثل في المسلحين الإسلاميين وعسكر النظام كلهما متسببين في حالة فوضى لا مفر منها إلا هروب الولي بدين الله إلى حيث يمكن إعادة الأمور إلى سابق أهلها قبل مغادرته؛ حيث كل منهما كان يزعم أنه على حق، حتى الإنسان التافه أصبح له رأي يدافع عنه فأصبحت الفوضى سمة واقع طائش ومجنون وهو عرض الوباء الفتاك: "إن تصرف أم متمم اتجاه مُجاعة (والدها) تصرف انتهازي قيضته حياتها بحياته، لأنها لم تدرِ لمن تكون الغلبة.. البنات أردن إقامة حظرة يباركن نبل مجاعة.. بدا له أنه سمعها تقول: ـ حييت يا مالك بن نويرة يا فتى الفتيان.. هذا الفيف سوى حالة عشتها فأنزلتني من السماء..

ـ هذه جنية نعم جنية وإلا كيف تزعم الولاية وتزعم النزول من السماء"[1]

من رؤية القصور وهي ضائعة أمامه إلى أمارات نزع ومس شيطاني بالمقام إلى حظرة طيبة إلى الجهاد (يا خيل الله اركبي) يحسن بالولي عدها كلها مرسلا داخليا هاجسا لالتماس الدواء الأليق للوباء (المرسل والمرسل إليه هو نفسه الولي الظاهر) والخطاطة التالية توضح علاقة صراع بين ذات الفاعل وبلارة لأجل اتصال أو انفصال الذات عن موضوع تحصين الأمة من الوباء (بث الانحلال في المقام الزكي)

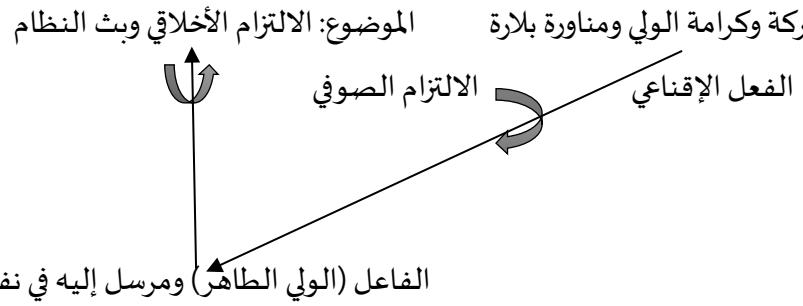

الفئة العاملية الثالث: مساعد ـ معيق (محور الصراع)

لا تتحفّز الذات الفاعلة نحو الاتصال أو الانفصال عن موضوع القيمة بمفردها وإنما هناك عوارض ومعيقات تعترض الذات خلال البدء في تنفيذ مشروعها ما يجعل من العامل المساعد أكثر أهمية للتغلب على تلك العوارض، وفي نص الولي الطاهر تمثل المعارض الأساسي في الهاجس الشيطاني داخل المقام في شكل مريدة رقم 201 تارة ادّعت أنها أم متمم التي نزلت

[1] . المصدر نفسه، ص 33-34- 58.

خصيصا إلى الولي الطاهر من السماء لأنها مباركة مثله لكنها تغوي كل المقام بسلوكها الشائن، وتارة هي سجاحا وطورا بلارة، وعندما يقرأون سبح اسم ربك تختفي، "أم متمم كانت مصابة بعمى، القلب بعد أن أذهلها موت مالك ووقوعها في أسر خالد ولعلها كانت ترى في خالد مالكا.. مولاي مقامك هذا بطوابقه السبعة، خالي إلا مني ومنك، أنت في الخلوة تصلي، وأنا في الفضاءات أحلم بك، وها قد عثرت عليك، فكيف تريد أن نفلت من بعضنا"[1]

فالخطر أصبح حقيقي لمَّا يصل تمثل أعمال الشيطان إلى مقام العلم والذكر والتزكية، يرسل هاجس حقيقي في نفس الولي وإلا ما كان ليدخل في الحالة، فالخطر حقيقي لما يصل كذلك إلى النخبة المثقفة المتمثل في صديق الذات عيسى الحيلح، وهو يعتبر ملفوظ مساعد على القلق المؤدي إلى الحالة: " تراءى للولي الطاهر أنه هو عبد الله عيسى الحيلح، في قمم جبال بني عافر وجبال البابور الوعرة، أجبر على هجر مدرج الدراسة بجامعة قسنطينة. ترك طلبته والقلم وجاء يعظ ويرشد ويفتي ويقتل"[2]

"الحالة" علامة وجزئية سردية مُفضية إلى عدم الاستقرار، بعد التحريك لابد من إدراك الحقائق بُعدا عميقا، ودرجة الشيخ (الوالي) تمكنه من طرح الحلول بعد الكشف، والكشف هو معرفة الخصائص العلوية من الله، وهي خاصية الأولياء الذين يشاهدونه بقلوبهم، لأنهم يصفّون قلوبهم بالتحلي والتخلي، ومهمة المحلل السيميائي التماس دلالة الخطاب في شموليته لا في جزئياته، فما كان الولي يهتدي إلى النتيجة التالية: "لا هو بالمسلم ولا هو بالكافر. قد يصلي اليوم وقد لا يصلي غدا. بل قد يقطع صلاته، ويسرع إلى خمارة من الخمارات التي انتشرت في كل ركن، يديرها مسلمون، بعد أن اشتروها أو خلّصوها من اليهود والنصارى"[3] فسبب الرحلة إلى بلاد المسلمين (النجف، القاهرة..) استلهام العبر والتجارب التي تخوله حل أعقد المشاكل كانتشار الوباء في بلاده، إن امتلاء الذات بالذكر والتزكية ثم الطهر فالحلول، وأيما الله لهي مرتبة صوفية متقدمة تبلغها أنفس السالكين والأولياء. تلك الذات التي تهتدي إلى حقائق الأمور المخفية القبلية كما في

---

[1]. المصدر نفسه، ص 55-66.

[2]. المصدر نفسه، ص117.

[3]. المصدر نفسه، ص21.

الملفوظ السردي التالي وهي كلها عوامل مساعدة للذات على مواجهة الوباء: "لقد التفّت الجماهير حول الحزب الديني، الذي لقي أيضا تشجيعا وتضخيما إعلاميا من أطراف في السلطة لإخراج التيارات الإسلامية من السرية إلى العلنية"[1]. إذن شكلت كرامة الذات أكبر مساعد للولي على الاتصال بموضوعه لكنها استندت على العوامل المساعدة الخارجية أيضا وهم: المقدم ورئيس الشيوخ وعيسى الحيلح. والخطاطة التالية تمثل البنية العاملية لرواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.

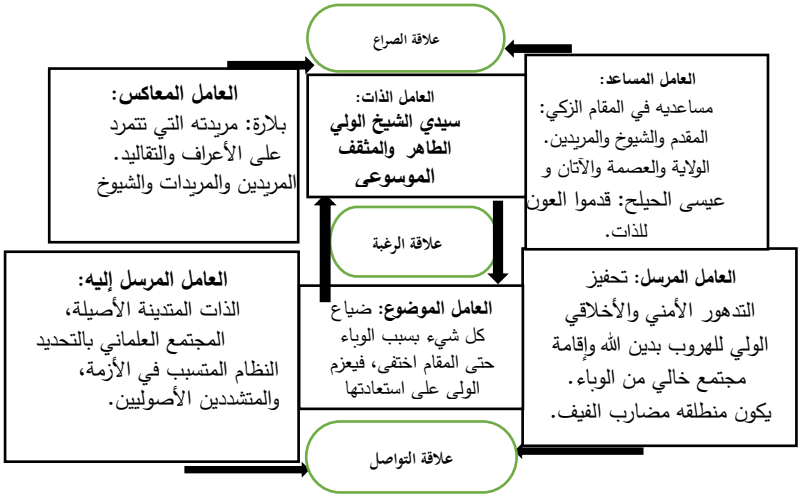

النموذج العاملي أو البنية العاملية في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي

2.1.2 المكون الخطابي في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي:

تدخل الصورة في الفهم والإفهام على المستوى الخطابي للنص، الذي هو أعقد من المستوى التركيبي وهي تشكل فيه علامة المضمون، كما يشكله على المستوى السردي/النحوي العامل، لذلك تلعب الصورة بنواتها التي هي عبارة عن مجموعة من السيمات (أصغر وحدات الدلالة: الوحدة

[1]. لطيفة قرور، هاجس الرَّاهن في ثلاثية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز/الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي/ الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء مقاربة بنيوية تكوينية، كلية اللغة العربية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010، ص43.

المعنوية الصغرى المحيلة للمدلول[1])، ويولد ائتلاف النواة السيمية والسيمات السياقية في مستوى الخطاب آثار المعنى هذه التي نسميها السيميمات[2]

كالصورة التي تتشكل في أذهاننا حين نقول الإنسان: حيوان ± اجتماعي ± نشط ± ناطق ± عاقل، هذه السيمة النواتية الأخيرة (عاقل) تعطي دورا جوهريا لمسار الشحنات الدلالية المتكونة في أذهاننا عند لفظنا كلمة إنسان (الفاعل عندما يأخذ دور عالم موسوعي يصبح ممثل Acteur) والصورة النواتية تنمي احتمالات دلالية خطابية عدة فيما لو وضعت داخل السياق:" الاهتمام بالصورة داخل الخطاب لا يعني عزلها عن بعضها البعض، بل لابد أن تتلاحم فيما بينها لتشكل ما دعاه جريماس بالمسار الصوري parcours figuratif "[3] مجموعة اللفاظم التي تحدد الانتقال إلى مسار آخر مثلا بعد وصول الولي بشق الأنفس إلى خلوته في الطابق السابع لمقامه الزكي هي: الوباء، لا يصلي، الخمارة، يقمّط، اليهود، الخِصر، المساحيق والألوان، تعري صدرها، العلكة والجينز، القبلة، التؤوه، التلفزات..

أما صّور المعارك والحروب التي شارك فيها أو لم يشارك فمرتسمة من خلال اللفاظم: معسكرنا، السيوف، تناوش الخيول، اقتلوا عدو الله، المولوطوف، إطلاق الرصاص، انفجار القنابل، المروحية وسرب الطائرات، الفوج، العملاء.. الرشاش، اللغم والخناجر.. وهذه المسارات التصويرية الثلاث: كرامة الولي وازدرائه من انتشار الوباء والمشاركة في الحرب الطاحنة، تحيلنا في مجموعها إلى الغرض الذي تشير إليه الملفوظات أو التشاكلات الدلالية isotopes حيث التناظر بين الحقول المعجمية اللفاظم السابقة يجلي دلالة.

1.2.1.2 الأدور الموضوعاتية:

[1]. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص167.

[2] . جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص83.

[3] . مصطفى الشاذلي، السيميائيات، ترجمة محمد معتصم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص15.

إذا كان الممثل هو فرد يحتوي ويقوم بدور أو عدة أدوار فإن الدور ضمن المكون الخطابي بقدر ما هو تصويري حي هو نكرة اجتماعية، وتبعا لذلك فإن المضمون الأدنى للدور هو نفس مضمون الممثل باستثناء معنم الفردنة[1]

والولي (الوالي بالعامية) أحد أهم أدوار العامل الذات (الولي الطاهر) وهو دور موضوعي كدور المعلم أو المزارع، يحمل الشفاء للناس ويقوم على أمر الزاوية تدريسا وحثا على القيم الصوفية الفاضلة والمعتدلة، وليس هو كدور الممثل خاص، بل الدور الموضوعاتي عام يحمل جملة من المواصفات كدور الولي: الطهر، الزكي، التضرع، الذكر، الحضرة الطيبة، التهاليل، الحلول، الكرامات، الإنس والجن، القناديز، الخلوة، الجوهر، الوجد، المقام.. في انتظامها الصوري أي يتحدد معناها في التقى (التنسك) والعلم والعدالة وقوة التغلب على الصعاب بالمجابهة؛ تقدم صورة عن الفاعل الذات في الرواية الذي هو قصد الموضوع وتجعل دوره منصبا على تخليص الأمة من الوباء ماديا كان أو معنويا.

والصّور السابقة تحيل إلى صورة الوَلاية (بفتح الواو) رتبة صوفية ذات مقام يكفل لها الاطلاع بدور غرضي موضوعاتي سديد داخل المجتمع. وهناك أدوار عدة أخرى في الرواية يقوم بها فاعلون آخرون يرتسم مسارها الصوري وفق صور ما، مثلا مع الفاعل بلارة، صور دور الجنية: كالحة العينين، مستديرة الوجه، تلثم يد شيخها كثيرا تغوي المريدين والشيوخ، تضمّن خطابها بإيحاءات جنسية (نقدم لك الحقيقة عارية).. تبرز مستوى خطابي يساعد على استقاء مضمون الرواية.

2.2.1.2 الممثلون:

لفهم المسار التصويري للذات الولي الطاهر، أو مجموعة الصور التي تشكل خطابه في الرواية، لاعبا عدة أدوار تيماتيكية كل منها يمثل فاعل الذات الولي الطاهر كما يقول كل من جريماس وكورتيس: "الممثل التصويري الذي يتمظهر في الخطاب ويشمل عموما عدة أدوار تصويرية Roles figurative"[2]

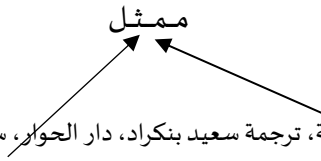

[1]. فيليب هامون، سيميولوجيات الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار، سوريا، 2013، ص94.

[2] . جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، ص90.

دور عاملي (وضعية داخل برنامج) دور تيمي (خلاصة لمسار صوري سردي)

لابد من عرض الوحدات المعجمية الدالة على تشكل مضمون العام لخطاب لرواية الطاهر يعود الى مقامه الزكي وهي صفة الكرامة، الممثل هو الوالي بالتعبير الدارج والولي بالفصحى أحد أهم أدوار العامل الذات؛ اللفاظم الأساسية lexémes: الولي، الزكي، التضرع، الذكر، الحضرة الطيبة، التهاليل، الحلول، الكرامات، الإنس والجن، القناديز، الخلوة، الجوهر، الوجد، المقام.. مقرونة بنظامها الصوري أي السيمات أو المعانم sémèmes يتحدد معناها في التقى (التنسك) والعلم والعدالة وقوة التغلب على الصعاب بالمجابهة ناهيك عن التعلق بالأصالة والبداوة الموروثة عن النبي. وهناك الممثل الثاني وهو السياسي والمثقف الموسوعي، وممثل ثالث هو الجندي المجاهد في سبيل الله، والأب والراعي وغيرها.

ـ أنا الولي الطاهر لقد كانت كراماتي.. فكانت صرخة مدوية مني استغرقت سبعين يوما، كان على أثره البنيان قائما![1]

ـ ما إن حيّ وزكّى حتى أدركته حمى مصحوبة برعشة، وجد نفسه يثب قافزا، يردد الأصوات القادمة من الداخل: يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف

طاف بالمقام وهو كذلك سبع مرات، ثم سقط عند أرجل العضباء يتخبط مصروعا، مرفوع السبابة يتلو الشهادة[2]

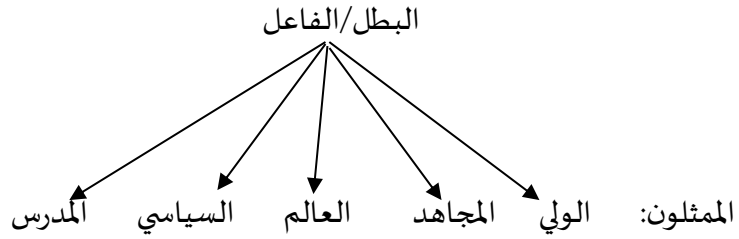

[1] . الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص46.

[2]. المصدر نفسه، ص22.

أما الممثل الثاني المريدة رقم 201 التي صوُّرت أنها جنية، متمردة، ذكية ساحرة الجمال وجريئة في مخاطبة الولي الطاهر ومناقشته. يقول سعيد بن كراد " أن هذه العناصر المشتركة لا تشكل الرغبة ولكنها تشكل الوجود الرمزي للرغبة، إنها مجموعة من الممثلين الكنائيين الذين يتحركون نيابة عن عامل واحد ووحيد"[1]

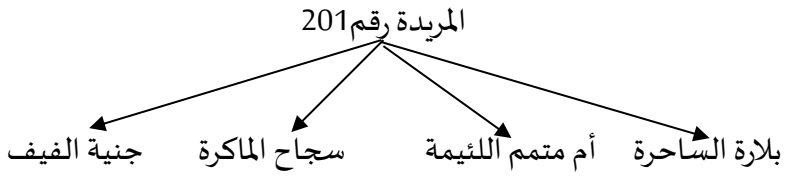

"ـ.. لا أحد يعرف لها أصلا أو فصلا، لا قرية ولا عشيرة ولا أهلا، تقول كل ما سئلت أنها وفدت من بعيد، ذاكرة من حين لحين اسم المهدية، باحثة عن ضالتها في المقام الزكي.

لم ينتبه أحد ليسألها عن ضالتها واقتنعنا جميعا أنها هاربة من الوباء، ساعية إلى ربها راضية مرضية"[2]

"ـ هل رأيت في الحياة الدنيا، صورة أبها من صورتي هذه"[3]

كل ممثل له دوره الموضوعاتي المتمثل في جملة من المواصفات، فالممثل عيسى الحيلح مثلا دوره العاملي مساعد ودوره الموضوعاتي سياسي يطرح على الولي أفكاره، أو مبدع ينظم وينثر، أو مجاهد في جبال بني عافر، وكل دور موضوعاتي له مجموعة من الصور.

الممثل هو الصورة الناقلة لدور عاملي على الأقل[4] كما يعتبر الممثل نقطة تقاطع بين العامل والدور الموضوعاتي كما يقول جريماس: "الممثل هو القائم بالفعل، موطن لقاء بين البنى السردية والبنى التصويرية، لأنه محمل في الآن ذاته بما لا يقل عن دور غرضي ودور عاملي"[5]

---

[1]. سعيد بن كراد، السيميائيات تطبيقاتها وتمثيلاتها، دار الحوار، اللاذيقية، ط3، 2012، ص198.

[2]. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص15.

[3]. المصدر نفسه، ص18.

[4]. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص16.

[5]. سعيد بن كراد، الخطاب السردي (سلسلة مساءات)، الدار العربية للكتاب، الرباط، دت، ص117.

وأمكن إحصاء عديد الممثلين الذي قاموا بأدوار عاملية محددة بالشكل التالي: الولي الطاهر مرسل ومساعد وفاعل ذات رئيسي كان دوره الموضوعاتي: الولاية، مدرس وشيخ المقام (الذِّكر والعبادة)، الجهاد.. أما المريدة رقم 201 والمقدم وعيسى الحيلح، كلٌ منوط بهم أدوارا موضوعاتية لا تخرج عن العلاقات الثلاث ضمن بنى عاملية متابينة.

ولعب الممثل "المقدم" دور عاملي مساعد للفاعل الذات والممثل عنصر مجرد لكن من خلال ربطه بين الدور الموضوعاتي والفاعل العاملي، تظهر أهميته الإجرائية في تشكل الخطاب عبر مسارات تصورية، والصور التي وردت في النص عن المقدم لاعبا دورا تيماتيكيا إما مساعدا للشيخ أو مربي مشرف على المريدين: الشيخ المقدم يحمل في صندوق مغلق مفاتيح المقام الزكي، رفع إلي المقدم تقريرا مطولا، سأل المقدم هل يسمع، أطلب لي المقدم، ليدخل على المقدم، خادم القطب الرباني، لقد قرروا يا ولي الله الطاهر أن يرفعوا إليك عريضة، سيدي المقدم، أحضر لي الشيوخ أو رئيسهم، واجه المقدم الصف الطويل، اسمعن يا أخوات فمن كانت منكن هي تتقدم.

3.الخاتمة:

سمحت تقنية النموذج العاملي بتتبع مسار الشخصية في رواية طالما عدت لدى المشتغلين وسوائهم طلاسما، ومع ضبط محاور التواتر: الرغبة والصراع والتواصل ساكنا ومتحركا في هذا العمل الروائي المميز تبين بعد ربط الشكل بالمحتوى، ضرورة إهمال التأويل الأيديولوجي لأن هذه الرواية بالأخص ناضحة به، وهو محك هذا المنهج، ناهيك عن صعوبة توظيفه في النصوص المعقدة التي تحوي شخوص كثيرة وتعدد في الأصوات السردية، فهذا النموذج معد أساسا للحكاية الشعبية، وذلك لا يعني فشل وصفنا وتصنيفنا للملفوظات السردية، نتيجة تبلور العامل كبؤرة العمل السردي ومركزه شخصية جذع دارت حولها الأحداث، محركة للعوامل الأخرى (كشخصيات الرواية الثانوية: المقدم والشيوخ، المريدة رقم 201 (مرة هي بلارة بنت الملك تميم بن المعز، ومرة أم متمم بنت مُجاعة، ومرة سِجاح بنت الحارث)، و(كشخصيات عرضية: باقي المريدين والمريدات وعددهم 400 تكنوا بـ "مالك بن نويرة" و"أم متمم"، عيسى عبد الله الحيلح، مُجاعة، خالد بن الوليد، زيد بن الخطاب، ثابت بن قيس، ومحمد بن عبد الوهاب، الراوي..) ولعلّ تلكم هي ممكنة

من ممكنات إفراز الدلالة بنيويا، والتي تحدثنا عنها في المقدمة وهي لا تفرزه إلا عبر بنية شاملة (سيميوطيقا الممثل والفاعل والعامل، أدوارا وعلاقات)

يتّسم التطبيق السيميائي على الرواية بالصرامة في التحليل غير أن ذلك لا ينفي وجود إمكانيات للقراءة التأويلية التي تنبني على دراسة سيميائية تمت فعلا للنص الروائي سواء كدراسة شاملة أو جزئية بخاصة ما تعلق بالبنية العميقة وبتفعيل المربع السيميائي. وذلك طبقا لمقولة سعيد بنكراد: المعنى موجود في اللغة لا خارجها وتلك طريقتها في تمثيل العالم، وأن التعدد الدلالي في الوجود هو الأصل أما أحادية المعنى فاستثناء عرضي أو إحالة على أكثر المناطق ضحالة في الوجود الإنساني، فالتأويل نشاط معرفي انحازت إليه السيميائيات واعتبرته منطلقا مركزيا لتحديد معنى الواقع الذي تسائله (كتأويل دلالات عدة طفحت بها "الحالة" ومشابهة بعض أحداثها للواقع).

4. قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق، دار الغرب، وهران، دط، 2005.
2. جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، طبعة إلكترونية.
3. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال خضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
4 . رشيد بن مالك، السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006.
5. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2001.
6. سعيد بن كراد، السيميائيات تطبيقاتها وتمثيلاتها، دار الحوار، اللاذيقية، ط3، 2012.
7. سعيد بن كراد، الخطاب السردي (سلسلة مساءات)، الدار العربية للكتاب، الرباط، دت.
8. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2004.
9. فيليب هامون، سيميولوجيات الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار، سوريا، 2013.
10. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، المدارس للنشر والتوزيع، الرباط، 2002.
11. لطيفة قرور، هاجس الرَّاهن في ثلاثية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز/الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي/ الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء مقاربة بنيوية تكوينية، كلية اللغة العربية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010.
12. محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة الربية، بيروت، ط1، 2001.
13. مصطفى الشاذلي، السيميائيات، ترجمة محمد معتصم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015.

14. ميشيل اريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمّان، ط1، 2002.